

الفكر النقدي عند عبد الله الركيبي
Critical thinking in the work of Abdullah Al-Rukaibi

* أ.د/ رضا عامر

Pr Ridha Ameur

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية (جامعة ميلة)

جامعة الحاج لخضر باتنة-1 (الجزائر)

University of Hadj Lakhdar Batna -1 (Algeria)

ridha.ameur@univ-batna.dz

تاريخ النشر: 2026/09/02

تاريخ القبول: 2026/06/09

تاريخ الإرسال: 2026/03/15

مُلَاحَظَةُ الْبَحْثِ

إنَّ التعدد المفرط للمصطلحات النقدية من طرف النقاد والباحثين بات يطرح مأزقًا فكريًا حادًا بين العديد من المفكرين على مستوى البحث العلمي خاصة بعد تقويض الفكر النقدي التراثي، فكان التفكير النقدي عند المفكر الجزائري عبد الله الركيبي ملهمًا في التأسيس للمرجعية النقدية الفكرية الجزائرية، ومحاوله لخلق رؤية ثاقبة للنقد الجزائري ومراجعياته المتعددة من أجل مواكبة الفلسفة الغربية والحداثة والعولمة الثقافية التي طرحت في وقت غير بعيد العديد من النظريات الغربية التي لا تتماشى والمرجعية الفكرية العربية والأدبية للمجتمع الجزائري، كمصطلح العلمانية والإلحادية... وغيرها من المصطلحات المترجمة التي لا يستفيد منها النقد الأدبي الجزائري في شيء سوى الترويج لأفكار ورؤى هدامة للمنظومة الاجتماعية العربية، وعليه كانت رؤية المفكر والناقد عبد الله الركيبي في مختلف كتاباته تشكل منطلقًا يسهم في عملية التنوير والتفكير المنهجي السليم بين ماهو مؤتلف ومختلف أثناء عملية النقد والتحريض، وبذلك أصبحت المنظومة النقدية الجزائرية تؤسس لهذه المدرسة بتظافر جهود العديد من المفكرين وخاصة كتابات عبد الله الركيبي في الأدب والنقد الجزائري التي تركت انطباعًا في النقد العربي بشكل ملفت للنظر.

الكلمات المفتاح: المصطلحات - التفكير النقدي - النظريات - عبد الله الركيبي - التنوير - المدرسة النقدية .

Abstract :

The excessive use of critical terminology by critics and researchers has created a serious intellectual dilemma for many thinkers in the field of scientific research, especially after the erosion of traditional critical thought. The critical thinking of the Algerian thinker Abdullah al-Rukaibi was an inspiration in establishing an Algerian intellectual critical framework. He attempted to create a penetrating vision for Algerian criticism and its diverse references in order to keep pace with Western philosophy,

* أ.د/ رضا عامر: ridha.ameur@univ-batna.dz

modernity, and cultural globalization. These latter phenomena recently introduced numerous Western theories that are incompatible with the Arab intellectual and literary framework of Algerian society. Therefore, the vision of the thinker Al-Rukaibi, as expressed in his various writings, constitutes a starting point that contributes to the process of enlightenment and sound, systematic thinking, distinguishing between what is similar and different during the process of criticism.

Keywords : Terminology – Critical Thinking – Theories – Abdullah Al-Rukaibi – Enlightenment – Critical School.



- مقدمة:

إنّ مسألة التفكير النقدي السليم ومرجعياته المتعددة من طرف النقاد والباحثين طرحت مأزقاً فكرياً حاداً بين العديد من المفكرين العرب خاصة بعد عصر النهضة، وظهور تيار الحداثة بمختلف اتجاهاتها الفلسفية التي حلت محل التفكير النقدي الانطباعي التأثري تدريجياً أثناء قراءة التراث العربي بشكل عام، من أجل مواكبة التيارات الفلسفة الغربية؛ والتي طرحت في وقت غير بعيد العديد من النظريات التي لا تتماشى والمرجعية الفكرية والأدبية للمجتمعات العربية، خاصة وأنّ تقدنا الأدبي لا يستفيد منها في شيء سوى الترويج لأفكار ورؤى هدامة لمنظومتنا الثقافية، والتي أصبحت تعيش خطراً كبيراً على مستوى المنطلقات النقدية العربية التراثية ذات التوجه الشمولي، أو على مستوى التجريب لما فيها من سموم ثقافية ماثورة في تلك النظريات التي يتغنى بها العديد من دعاة الحداثة والفكر التنويري.

لقد تطور النقد الأدبي في العالم العربي بشكل ملفت بعد حملة (نابليون بونابرت) على مصر، حيث أثّرت هذه الرجة الفكرية على كامل الدول العربية، ومن بينها الجزائر، وذلك بعد تعدد استعالاته الفكرية والتقنية التي كانت وراء حداثته المستمرة عبر العديد من النظريات والمناهج النقدية الوافدة إلينا من الغرب، وعليه شرع العديد من النقاد الجزائريين إلى تبني استعالات هائلة من المصطلحات النقدية الدخيلة على تراثنا تارة والفكر تارة أخرى، وهذا ما مكّن العديد من المدارس النقدية من البروز على الساحة العربية بين التنظير والتطبيق اللذين مهدا للنقد العربي الاستمرارية ومواكبة التجديد المعرفي خاصة بعد عصر النهضة، وبذلك تشعبت المناهج السياقية، وتعددت تجلياتها التي طرحت على الساحة العربية في العديد من الدراسات النقدية من طرف النقاد الباحثين، فشكل هذا الأمر مأزقاً حقيقياً خلق فوضى وتشويشاً في كيفية التعامل مع المنهج من جهة وضرورة تبني مصطلحات نقدية يستفيد منها النقد الجزائري من جهة أخرى دون خلفيات إبستيمولوجية حادة بين المشارب النقدية والمرجعيات الفلسفية لمختلف التيارات والمدارس النقدية المطروحة على الساحة الفكرية العربية، وهذا ما عمد إليه المفكر والناقد الجزائري "عبد الله الركيبي" في كتاباته النقدية الحداثيّة، والتي باتت تمثل طفرة في عالم التجريب النقدي يستفيد منها الناقد الجزائري خاصة، والنقد العربي بشكل عام.

أ- أهمية الدراسة:

هذه الدراسة تعدّ من الدراسات النقدية المعاصرة التي تناولت مسألة التفكير النقدي عند الناقد الجزائري "عبد الله الركيبي" من خلال عرض تجربته النقدية في التعاطي مع الإبداع والفكر والثقافة في فترة الاستعمار الفرنسي ليصبح النقد في تصوره عملية إنتاج للمعرفة وتأسيس لروح القراءة بوعي لكل ما هو متداول من أدب وفكر على الساحة الإبداعية الجزائرية.

ب- إشكالية الدراسة:

تدور إشكالية الدراسة حول مأزق التفكير النقدي عند "عبد الله الركيبي" وماهي المناهج النقدية التي اعتمدها في قراءة الإبداع الجزائري بداية من أصوله المنهجية، وفلسفته النقدية، وصولاً إلى تأسيس فكر نقدي رصين يحقق له الرؤية الميسرة لقراءة الإنتاج الأدبي الجزائري، وما يحمله هذا الناقد من رؤية ثاقبة ورؤى متعددة وتنوع لمرجعياته النقدية والمذهبية التي أتاحت له تأسيس فكره عليها، وعليه نطرح الإشكال الآتي: "هل تمكن عبد الله الركيبي من تقديم نظرية نقدية تؤسس لتجربته في قراءة الإبداع الجزائري وهذا ما ستحاول الدراسة الإجابة عليه تدرجاً من خلال عرض مختلف المرجعيات والتوجهات التي أقام عليها فكره النقدي بشكل خاص.

ج- فرضيات الدراسة :

- 1- الفكر النقدي لـ عبد الله الركيبي متعدد المرجعيات والرؤى.
- 2- التعدد الفكري في الإنتاج النقدي والإبداع عند عبد الله الركيبي.
- 3- التنوع الفلسفي في فكر عبد الله الركيبي.
- 4- الجمع بين النقد التراثي والحداثي.

د - أهداف الدراسة:

- 1- التعرف على صور التجريب النقدي عند عبد الله الركيبي بشكل عام .
- 2- التنوع في موضوعات النقد والإبداع عند عبد الله الركيبي.
- 3- السعي للوصول إلى تأسيس فكر نقدي جزائري يجمع بين التراث والحداثة.

هـ- منهج الدراسة :

سيتم الاعتماد على المنهج التاريخي لعرض (التجربة النقدية عند عبد الله الركيبي)، مع الاستعانة بمنهج أخرى من أبرزها المنهج الموضوعاتي لرصد مختلف المواضيع والقضايا الأدبية والنقدية التي طرحها فكر "عبد الله الركيبي"، وفلسفته النقدية، وما يحمله من حمولات فكرية وتراثية ومذهبية ودينية، وهذا فعلاً ما وجد في مرجعياته النقدية، وفي مختلف نصوصه الإبداعية والنقدية نحو : (مصراع الطغاة- الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار- قوس ثائرة- القصة الجزائرية القصيرة - تطور النثر الجزائري الحديث.. إلخ)، وما ساد رؤيته في قراءة التراث والإبداع الجزائري التجريبي من تفاعل ثقافي بين مختلف تيارات الأدب والنقد العربي والغربي داخل نصوصه النقدية، فشكل في النهاية حالة من التجريب النقدي أسست لتوجهه الثوري، والتي تستدعي منا الوقوف عندها بالدراسة والنقد.

و- الدراسات السابقة:

- لقد تعددت الدراسات النقدية في معرفة مرجعيات التفكير النقدي عند "عبد الله الركيبي"، وهي كالآتي:
- 1- محمد الأمين بجري: طلائعية التنظير النقدي عند عبد الله الركيبي، مجلة حوليات الآداب واللغات، مج 01 ع 02، سنة 2013 جامعة المسيلة - الجزائر.
 - 2- عبد الحميد بورايو: جهود عبد الله الركيبي في دراسة التراث اللامادي الجزائري، مجلة تراث الزيبان (مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط)، مج 05، ع 01، سنة 2020، جامعة الجزائر 2- الجزائر.
 - 3- بو القندول فوزية: عبد الله الركيبي بين النقد الأدبي والنقد الثقافي قراءة بانورامية في إسهاماته النقدية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج 39، ع 01، سنة 2025، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة- الجزائر.

ز- محاور الدراسة: تدور الدراسة حول محاور أساسية هي:

- 1- مفهوم النقد.
- 2- التراث العربي والنقد.
- 3- منطلقات التفكير النقدي عند "عبد الله الركيبي".

1- مفهوم النقد:

إنّ لفظة "النقد" نجدها تحمل الكثير من الدلالات الإستيمولوجية في عدّة حقول معرفية، وعليه كان لزاما على كل حقل فكري ضبط مصطلحاته بدقة ووضعها في حقلها الدلالي الذي تنتهي إليه دون غلو فكري في الطرح أو التصنيف لهذه المصطلحات الفكرية، لكون التنوع في دلالاتها ومعانيها في النهاية بات يشكل صورة أساسية في كل مجال من مجالات العلوم الإنسانية؛ فالنقد له مصطلحاته والعلوم الطبية لها مصطلحاتها، والزراعة والهندسة، والعلوم التقنية لها هي الأخرى مصطلحاتها المتخصصة، وقد عرف العرب منذ فجر التاريخ هذا التعدد الاصطلاحي فخصص له البعض مصنفات متخصصة ضبطت هذا التعدد، وأحصت هذا التفرع الدقيق في كل باب من العلوم، فكان هذا التعدد أساسا للتخصص الدلالي، والمعجمي لكل علم من العلوم الإنسانية بالمعني الأصح.

أ- المفهوم اللغوي:

في الحقيقة نجد هناك تنوعا في المفهوم اللغوي للفظـة "نقد"، والتي نجدها مأخوذة من الفعل (نقد) من الأصل الثلاثي (نقد) مصدره (النقد)، وإذا عدنا لمعجم لسان العرب نجد هذه لفظة النقد تعني "خلاف النسبة"، والنقد والتناقض: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها " (منظور، 2014 : 4517)، أما في معجم القاموس المحيط للفيروز آبادي نجده يشير صراحة إلى معنى "النقد وهو خلاف النسبة، وتمييز الدراهم وغيرها كالتناقض والانتقاد والتشقيـد، وإعطاء التشقيـد، وناقده بمعنى ناقشه" (آبادي، 2005 : 1640)، أما لو عدنا للمعجم المتخصصة، فإننا نجد معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لـ سعيد علوش يرى أنّ لفظة نقد "تحتل مكانة وسيطة بين علم الأدب والقراءة، وهو يعطي لغة للكلمة التي يقرأها ويعطي كلمة للغة الميثية، التي وضع فيها العمل ليعالجه العلم" (علوش، 1985: 216)

في حين يذهب المعجم المفصل في اللغة والأدب لـ إميل بديع يعقوب وميشال عاصي إلى أن لفظة (نقد) : هو ملكة الحكم على الأشياء قبولاً أو رفضاً استحياساً أو استهجاناً ووضعها في منزلة ما من منازل الحكم لدى الناقد استناداً إلى ذوقه، وثقافته، ومفهومه العام للحياة والوجود" (يعقوب، عاصي، 1978: 1261)، وإذا عدنا للمعاجم والقواميس الغربية وجدنا لفظة (نقد) في العربية يقابلها معنى (Critique) في اللغة الفرنسية، و (Criticism) في اللغة الانجليزية.

ب-المفهوم الاصطلاحي:

لقد تعددت المفاهيم التي تشير إلى الدلالية الاصطلاحية لمعنى (النقد)، وهذا ما خلق في الحقيقة فجوة علمية خطيرة بين النقاد والمنظرين، والباحثين المشتغلين في حقل المصطلحية، ونظراً لتعدد المشارب والمذاهب التي باتت تشكل توجه كل منظر منهم جعل جلّ الباحثين يقعون في مزالقهم التي فرضت على المنظومة الاصطلاحية الكثير من الألفاظ والمعاني المتناقضة أحياناً أو البعيدة كل البعد عن المعاني والدلالات الحقيقة للمصطلح، خاصة إذا كان المصطلح دخلياً على اللغة العربية فهنا يقع فيه الغلط، ويكثر عليه اللّغط، ومع ذلك نشير إلى بعض المفاهيم التي استأنسنا إليها، في وضع مفهوم دقيق للنقد، ومن ذلك تعريف (جبرائيل سليمان جبور) والذي يرى أن دلالة لفظة نقد تشير إلى "أنه فنّ تحاول فيه أن تحكم على الأشياء الفنية الأدبية بعد فهم خصائصها ومزاياها، ثم تعرض على الناس هذا الحكم بقالب فتي أدبي" (جبور، 1983: 17) في حين نجد (إحسان عباس) يشير إلى أن النقد "لا يقاس دائماً بمقياس الصحة أو الملائمة للتطبيق، وإنما يقاس بمدى التكامل في منهج صاحبه" (عباس، 1983: 10)، وهذا التعدد في المفاهيم يرجع لتنوع التصورات بين النقاد واختلاف مرجعياتهم ومذاهبهم .

بينما نجد (أحمد بدوي) يرى أن "النقد طبع لا بدّ منه للناقد، ودكاء يستطيع به أن يحلل العمل الأدبي، وثقافة تمدّ هذا الذكاء بأسباب الحكم" (بدوي، 1996: 84)، وعليه يبقى مصطلح (النقد) وسيلة للتواصل، ويسهم في تمازج المعارف، وتبقى الترجمة هي المعيار الحقيقي لولوج هذا العالم، وتحقيق التكامل العلمي والفكري واللغوي فيما بينها، وعلى المشتغل في حقل المصطلحية النقدية أن يكون عارفاً بكل التفاصيل الدقيقة بكيفية التعامل مع المصطلحات النقدية الوافدة إلينا خاصة من الثقافات الغربية، وتحري المصادقية في طرحها، وتقديمها للمتلقّي دون خلفيات وتبريرات وتوجهات لها أثر سلبي يعود بالضرر على المصطلح الوافد إلينا، وقد وضع العديد من المشتغلين في باب النقد شروطاً من أجل قبوله، وهذا ما ذكره (أحمد بدوي) في مصنفه (أسس النقد الأدبي عند العرب - نقد الشعر)، وهي كالآتي:

أ- الثقافة الواسعة في نقد الفكر.

ب- أن يكون ذواقاً للأدب.

ج- أن يتسم الناقد بالروح الموضوعية.

د- أن يكون متمكناً من غرابة التراث.

ومع ذلك كان العصر العباسي من أكثر عصور الحضارة العربية الإسلامية حضوراً للمصطلحات الدخيلة من الحضارة الغربية خاصة ما وفد إلينا من الحضارة اليونانية والرومانية والهندية والفارسية والصينية، وغيرها من حضارات العالم القديم، والتي شكلت حقل تواصل مع الحضارة العباسية نتيجة التأثير والتأثر بين مختلف العلوم والآداب، فكان

لابد للعرب الاستعانة بعلوم اللغة المتعددة من أجل وضع مصطلحات دقيقة ومتخصصة بكل علم، وأهمها: الوضع، والقياس والحجاز، والتعريب والتوليد، والنحت، والاشتقاق والترجمة، وكانت جلّ هذه الآليات اللسانية سبباً مباشراً في شساعة العربية واستيعابها لعديد العلوم اللغوية المصاحبة لها، وقد بذل الأقدمون جهوداً محموداً في وضع علم (النقد)، لتبقى مسألة ضبط هذا العلم من أكثر القضايا الجدلية الحالية التي مازالت تؤزّق الفكر والتراث العربي بكل أصنافه وأطيافه.

2- التراث والنقد العربي:

تعدّ مسألة قراءة التراث النقدي العربي من بين الإشكالات المتعددة التي طرحها المشتغلون في حقل الدراسات النقدية عموماً، وعليه بات الباحث العربي في ورطة فعلية يعيشها يومياً من خلال هذه الأزمة الفكرية، والتي تنوعت وسائلها واتجاهاتها التي كانت وراء ظهور أزمة في التنظير والتأسيس والترجمة الدقيقة الواعية لمختلف المصطلحات النقدية الوافدة إلينا من المدارس النقدية الغربية دون عين فاحصة تفرزها وتغربلها للدخول إلى عالم أدبنا وفكرنا العربي والإسلامي في التراث القديم، فيما هناك من تنبها بسلاسة دون وعي منه ظناً منها أنها تدخل في باب الثقافة الفكرية، ومسيرة العولمة والحداثة وغيرها من المصطلحات النقدية المتعددة التي بات ينظر لها هؤلاء المطبوعون مع الفكر النقدي الغربي، وهذا ما جعلنا نطرح سؤالاً هاماً عليهم كيف يتم التطبيع النقدي مع الغرب، وهم من يرون أنفسهم المركز والبقية هم الهامش؟

إنّ إشكالية قراءة التراث العربي القديم وحتى الحديث منه نقدياً؛ قد نجدها خلقت عدة إشكالات خطيرة تمس بالأمن اللغوي للفكر العربي المعاصر، وعليه كان لابدّ على محترفي النقد والاصطلاحية من الغوص في عمق المأزق للوصول إلى حل نهائي لهذه المعضلة التي باتت تؤزّق عديد الباحثين في تخصصات متعددة، وبما أنّ النقاد العرب قد ابتعدوا عن التراث البلاغي العربي الذي كان وراء سمو شأنهم وعلو قدرهم، فإنّ هذا الأمر قد أزقّ فكرهم، وتفكيرهم فعاشوا في انزغال كلي عن جميع المجريات النقدية التي كانت وراء تقزم فكرهم وابتعادهم عن الحركة النقدية العالمية التي كان التراث العربي أساسها بداية من النقد السليقي في العصر الجاهلي والنقد الانتطاعي التأثيري في العصر الأموي لينتهي المطاف بحركة النقد في العصر العباسي بالنقد المعياري أو اصطلاح عليه النقد التقديدي مع ابن الأثير الجزري وسيف الدين الأمدّي وابن طباطبا العلوي والجاحظ وعبد القاهر الجرجاني، وغيرهم من أساطين التفكير النقدي وقتها، ليأتي بعدا العصر الأندلسي بداية مع الفيلسوف العربي (ابن رشد الأندلسي) و(ابن حازم القرطاجني) و(ابن قتيبة الدينوري) و(ابن بسام الشنتري)....، وغيرهم من رواد الحركة النقدية التجديدية التي استفاد منها الغرب، وجعل منها ثورة نقدية وفكرية في مجال الفكر والنقد، فيما ابتعد عنها العرب تدريجياً بعد سقوط الدولة العباسية في المشرق العربي وضياح حضارة الأندلس في بلاد الفرنجة، وتكالب الصالبيين على الخلافة الإسلامية في المغرب الإسلامي مما جعل العديد من المفكرين والبلاغيين والفلاسفة يعيدون رسم خريطة التأليف والترجمة، والتي باتت تدخل في باب المحظورات، ولا يجب تناولها أو التطرق إليها لما فيها من دسائس قد تمس الأمن الديني العربي وخلخلة التراث العربي والمساس بنظام الخلافة الإسلامية على حد زعمهم، وهذا المأزق جعل من العالم العربي والإسلامي يعيش هذا الانشقاق بين عالميه؛ المشرقي الذي يمثل الأصالة، والمغاربي الذي بات يمثل الحداثة والتجديد والتنوير في فكره وقده.

وهنا لابد من الإشارة إلى أنّ التراث النقدي الجزائري منذ القديم قد عايش هو الآخر خلخلة زمنية وآنية مست كل نواحي الفكر بين الحداثة الغربية الوافدة إلينا عن طريق الترجمة غير الدقيقة من جهة وضرورة العودة للتراث العربي القديم، ومحاولة البحث والتنقيب فيه عما يقابل ذلك الكم الهائل من المصطلحات النقدية وحمية إرجاعها إلى أصولها العربية، وعدم الانسياق إلا أنّ "اختلاف الينابيع التي ينهل منها علماء العرب اليوم بين لاتيني وسكسوني وجرمانى وسلافي، وطبيعة الجدة (المتجددة) (...)" ثم طفرة الوضع المفهومي وما ينشأ عنه من توليد مطرد للمصطلح الفتي بحسب توالي المدارس اللسانية وتكاثر المناهج التي يتوسل بها كل حزب من المنتصرين للنظرية الواحدة أحياناً" (المسدي، 1984: 55) خلق تذبذباً كبيراً حول ترجمة المصطلح الدخيل، وتوظيفه في الفكر النقدي العربي من خلال الجهاز المفاهيمي الذي وضع فيه، ومع ذلك مازال العمل الجاد في ضبط وصيانة المصطلحات بدقة، ومحاولة خلق التصور الفكري الذي يجب أن يتجسد فيها دون خلل أو زلل يعكر جذره اللساني الذي يقوم عليه..

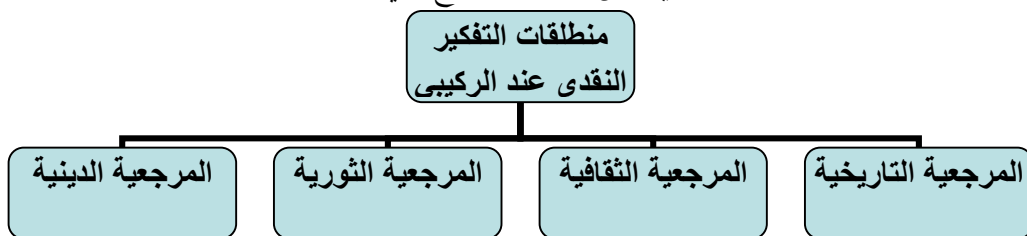
3- منطلقات التفكير النقدي عند "عبد الله الركيبي":

لقد شكل التفكير النقدي عند المفكر الجزائري "عبد الله الركيبي" أثناء بدايات عصر النهضة الأدبية؛ البدايات الحقيقية للتجريب النقدي الجزائري المبني على أسس، ومنطلقات ممنهجة تقوم على النهل من التراث خاصة، دون إهمال للمدارس النقدية الغربية الوافدة إلينا من خلال فهم مضامينها ودلالاتها ومحاولة تفسير اتجاهاتها النقدية المكونة لمرجعياتها الفكرية تدريجياً، فقد "انكبوا على الاعتراف من الكنوز الفكرية والأدبية للتراث واتصلوا بتيارات النهضة القومية في منابتها الأصلية بالمغرب والمشرق، وأفاد بعضهم بطريق مباشر من مناهل الأدب الغربي، فميزوا بذلك في مرجعيتهم الثقافية عن سبقهم" (سمينة، 2003: 94)، وهذا الأمر ساعد العديد من الكتاب والمفكرين والنقاد، ومن بينهم "عبد الله الركيبي" في البحث عن هوية الأدب والنقد الجزائري خاصة بعد أن رسم لفكره صورة واقعية عن كتابات من سبقه من الأدباء والمثقفين الجزائريين .

وقد ساهمت كتابات "عبد الله الركيبي" التراثية في بدايتها في التقليل من هذه الفجوة الفكرية من خلال فلسفته النقدية ذات المرجعية الأصولية لكونه من أبرز طلبة جامع الزيتونة التونسية بعد أن أدى قلمه دوراً بارزاً في نقل جزء من التراث الجزائري المقموع والمهمش من طرف الاستعمار الفرنسي، بعدما وجد مجاله في الصحافة التونسية من قصص وشعر ومقالات ربما كان بعضه مهدداً بالضياح وعرضة للتلاشي (الجابري، 2005: 16)، فكان الفكر القومي الذي ظهر عند "عبد الله الركيبي" صورة طموحة معبرة عن واقع المثقف الجزائري الباحث عن المرجعية الحقيقية للتأصيل.

فهذه الصورة المشرفة في كتابات العديد من الكتاب الجزائريين خاصة عند الجيل الأول من أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نحو: (عبد الحميد بن باديس- البشير الإبراهيمي- مبارك الملي- زهير الزاهري- الأمين العمودي - العربي التبسي...إلخ)، وغيرهم من علماء الجيل الأول الذي خلّص الجزائر من مشروع فرنسة الأمة الجزائرية، وقد سار على منوالهم العديد من المثقفين من بينهم: (أبو اليقظان- محمد العيد آل خليفة- رمضان حمود- مفدي زكرياء - توفيق المدني- عبد الله شريط- أبو القاسم سعد الله - صالح خرفي- عبد الله الركيبي...إلخ)، وقد شكلت هذه المرجعية عاملاً هاماً في صقل التجريب النقدي لدى "عبد الله الركيبي" خاصة، وأنّ "المتعمق بموضوعية في هذه الفترة؛ فإنه

سيصل إلى حتمية تثبت أنّ المثقف الجزائري- وهو جزء من الشعب- خرج من الثورة التحريرية، وهو يحمل على كاهله واقعا جديداً يتطلب منه ثورة جديدة في البناء " (دوغان، 1996: 37)، وتبقى تجربة "عبد الله الركيبي" في النقد الجزائري تجربة مثيرة للجدل لكونه كان بين فترتين هما فترة الإرهاصات الأدبية والنقدية، التي كانت في البداية، وبين فترة برزو التيار الاشتراكي الشيوعي بعد التصحيح الثوري الذي قام به الرئيس الراحل (هوارى بومدين) سنة 1965م فكانت مرحلة النهضة التي توسطت المرحلتين السالفتين للذكر عاملاً حاسماً في نقل النقد والأدب الجزائري نحو الانتشار والتبني دون خلفية إيديولوجية تذكر، ومع ذلك تعددت مرجعيات الناقد والمبدع "عبد الله الركيبي" لتشكل في النهاية فسيفساء من التجريب للنقد الجزائري، وفق ما يجسده النموذج الآتي:



الشكل : مرجعيات التفكير النقدي عند الركيبي

1/3 - المرجعية التاريخية:

لقد كان التاريخ البشري منهلاً غنياً للفكر، لأنه يمثل في النهاية ذاكرة الأم وماضيها والمرآة التي تنعكس فيها جميع الأحداث الكبرى، والتي قد تؤثر فيه سلباً أو إيجاباً، وقد نهل "عبد الله الركيبي" من التراث العربي والجزائري بشكل خاص مما شكل لديه هويته التاريخية، والتي أصبحت تمثل مكانة حقيقية هامة في العديد من كتاباته النقدية حول الأدب والفكر الجزائري الحديث واعتماده على المنهج التاريخي الذي كان عوناً له في جميع كتاباته والتي باتت تشكل وثيقة تاريخية هامة من خلال توثيقها لكل حدث، فكانت صدى لجميع الأحداث، فهي ذاكرة المبدع يستقي منها ماضيه ومستقبله، ومن الواضح هنا أنّ المبدع والناقد الجزائري "عبد الله الركيبي" لم يستطع الانفصال عن روح عصره، لقد كان التاريخ بالنسبة إليه مصدراً ثرياً يمدّه بكلّ ما يريد من علاقات زمنية ما جعل من هذا التاريخ أسطورة حية تعيشها الشعوب وتذكرها، وهذا ما جسده العديد من مؤلفاته النقدية- التي خطها للأدب الجزائري- لتصبح مرجعية تاريخية لكل المفكرين والنقاد، وقد أحصينا بعض من هذه الكتابات النقدية في الجدول الآتي :

اسم المؤلف	عنوان الكتاب	دار النشر	الطبعة - السنة
"عبد الله الركيبي"	دراسات في الشعر الجزائري الحديث	البار القومية للطباعة - مصر	ط1- 1962م
	أحاديث في الأدب والثقافة	دار الكتاب العربي - مصر	ط1- 1966م
	القصة الجزائرية القصيرة	الدار العربية للكتاب - ليبيا	ط1- 1977م
	قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر	الدار العربية للكتاب - ليبيا	ط1- 1977م
	تطور النثر الجزائري الحديث	الدار العربية للكتاب - ليبيا	ط1- 1978م
	الشعر الديني الجزائري الحديث	الشركة الوطنية للنشر - الجزائر	ط1- 1981م

وبما أنّ التاريخ كان ولازال منبعاً هاماً من منابع الإلهام الفكري، الذي يعكس اتجاه الكاتب مما فتح أفقا أكثر اتساعاً أمام القارئ، من خلال جدلية التأثير والتأثر، وبذلك يصبح النص النقدي ذا قيمة توثيقية، يكتسب بحضورها دليلاً محكماً وبرهاناً مفهماً على واقع المجتمع العربي بشكل عام وعن المجتمع الجزائري بشكل خاص مجسداً حالات انتصاره أو انكساره الحضاري والفكري ومدى انعكاس ذلك على الذات في إطار الحقيقة التاريخية العامة في تاريخ الأمة من خلال صورة العصر، وما فيها من أحداث وهذا الأمر طرحه الناقد "عبد الله الركيبي" قائلاً: "وقد أسهم الكتاب في تعميق هذه الخصائص للشعب، وعمقوا من إحساس الفرد بها وأيضاً جسّدوا إحساسهم الخاص بالواقع الذي عاشوه عقوداً طويلة وحققوا وجودهم فيما كتبوا من ألوان أدبية فكان هدفهم هو التأثير وإحداث اللذة الأدبية من جهة وتصوير الأحداث التي حفرت خطوطاً عميقة في وجدان الفرد الجزائري" (المحاسني، 1961: 15)، والذي جسده عبد الله الركيبي، حتى بات يعدّ سجعاً إنسانياً، وحافظاً للذاكرة التاريخية الجزائرية من الضياع والنسيان.

وقد استلهم "عبد الله الركيبي" أحداث تاريخ الأمة الجزائرية، وشخصياتها بأن جعل منها نسقا بنائياً، ونسيجاً إبداعياً مندمجاً في شبكة العلاقات الدلالية التي أنتجتها جل كتاباته فـ"التاريخ فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث توقيتها وموضوعه الإنسان والزمان" (الجل، 1982: 08)، وذلك في سياق النص الإبداعي، ومحاولة تعديل بنيتها الاسترجاعية للزمن من ناحية، واستشراف الزمن واستباقه من ناحية أخرى ليعبر عن يقين المبدع في التخلص من قيودها ومأساوية واقعها، خاصة ويشترط في هذه الإحالات أن تكون لأحداث أو شخصيات تاريخية هامة، وذات صدى في الذاكرة العربية.

وعليه وظّف عبد الله الركيبي العديد من الشخصيات التاريخية الجزائرية في كتاباته النقدية بحثاً عن النموذج الأعلى، رغبة في التعويض العاطفي، وربما هروباً من وطأة العجز الذي يعيشه، واللجوء إلى أحضان الماضي الذي قد يبدو مقدساً بالقياس إلى الواقع المؤلم؛ ومع ذلك استطاع الناقد الركيبي من خلال الكم الهائل من الإشارات التاريخية أن يعبر عن رؤى المبدع، ويساعده في رسم خريطة هذا النقد، وإعادة قراءة التاريخ بشخصياته، وأزمانه وأماكنه وفق مرجعية تتناسق مع الحاضر تتصل به، وتستحضر أبعاده كما أنّ تعدد الإشارات التاريخية من عربية وإسلامية وعالمية ماضية ومعاصرة لدى الناقد "عبد الله الركيبي"، يدلّ على مدى اتساع حدقته الفكرية، وعدم انغلاقها على الذات الفردية، بل بحثها عن أبعادها الإنسانية الشاملة، وتشكيلها وفق رؤية مغايرة خاصة أنّه مشبع بالفكر الإصلاحية من جهة، والفكر الوطني الثوري من جهة ثانية.

2/3 - المرجعية الثقافية:

يمكننا القول إنّ المرجعية الثقافية للناقد "عبد الله الركيبي" هي مزيج من النقد الفني الانطباعي، والنقد النسقي، عند تناوله النص الإبداعي الجزائري، فتحليله لهذه المنظومة الفكرية هو تحليل الجانب الجمالي فيه؛ جانبه الفكري والبلاغي، وقراءة الشفرات والمرجعيات والسياقات المشكلة لهذا التراث، وهكذا يتكامل النقد الأدبي مع آليات النقد الوصفي ليصبح النص الأدبي الجزائري في نهاية الأمر موقعاً للصراع الطبقي المستمر، وإنّ مسألة تحليل النص أو تأويله تنطلق في الأساس من إدراكنا لهذه الحقيقة، ليصبح الناقد في مآزق كبير يحاول بشكل متواصل الكشف عن مختلف المرجعيات الثقافية المضمرّة داخل خطابه اللغوي بشكل مباشر، وغير مباشر، وهذا الإشكال المتجدد داخل

النصوص هو ما يجعل "مشروع هذا النقد يتجه إلى كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أفتحة ووسائل خافية، وأهم هذه الحيل هي "الحيلة الجمالية" التي من تحتها يجري تمرير أخطر الأنساق وأشدّها تحكماً فينا ، وهذا لن يتسنى إلا عبر ملاحظة الأنساق المضمرّة ورفع الأغشية عنها" (مخافي، 2003: 101) لتتجلى بذلك الحقائق الثابتة خلف المنظومة اللغوية، وكشف المستتر الثقافي الذي انبنى على أساسه النص الإبداعي.

وإذاً تتيج الثقافة بتجلياتها المختلفة وتعددها الفكري للأديب والناقد حرية التعبير بشكل أوسع وأعمق ، فإنها وبنسب أكبر تتيح للمتلقّي كذلك فرصة الوعي بأساليب التأويل الدلالي من خلال البحث عن البنى والمركبات الثقافية التي ساهمت في تشكيل النص الأدبي ، حيث نجد أنّ وعي الناقد بالبعد الثقافي يساعده في النهاية على تجاوز حدود ما يقرأ ، ويجعله في حالة جدل وصراع محتدم مع ما هو كائن في الفكر والثقافة الوطنية ، كما يلفت انتباهه أثناء ممارسة طروحاته النقدية على النصوص الإبداعية إلى ذلك التراث المنسي والمهمش في المجتمع أين تتحول الجمل والمفردات النحوية إلى جمل ومفردات ذات أبعاد ثقافية تراثية تعبر عن هوية المجتمع الجزائري تحمل أبعادا وإحالات مخبوءة مرتبطة بالتاريخ والمجتمع والواقع والدين والسياسة في أغلب الأحيان. بعد أن عاش العقل الجزائري زمناً من الانغلاق، والعزلة الفكرية عن الآخر الذي كبل تقدمه، وتعرفه على الفكر الحداثي، فكانت الثورات الفكرية التي قادها رجال الإصلاح والوطنين بمثابة ثورة حقيقة لأجل تحرير هذا العقل فكرياً وعقدياً ، مما أوجد تربة خصبة لدعاة الحداثة والتجديد الفكري ومنفذاً في فكرنا وأدبنا الجزائري، إذ ترعرع فيها العديد من المفكرين من دعاة الحداثة الأدبية والفكرية في عالمنا العربي من بينهم المفكر عبد الله الركيبي.

ومن خلال الدراسات النقدية للكاتب الجزائري "عبد الله الركيبي" نجد أنّ تكوينه الفكري مزيج من التركيب السياسي الثوري، والثقافي الذي استقى معظمه من خلال تجاربه النضالية، والفكرية في كل من تونس ومصر وسوريا والتي قد ساهمت بشكل مباشر في تكوينه، وصقل موهبته الأدبية والنقدية تدريجياً، وهذا الأمر ساهم في بلورة وعيه، وتبينه للعديد من القضايا المركزية في الثقافة الجزائري، ومحاولته التأسيس الرصين لنموذج المثقف الجزائري، خاصة "أنّ ملامح الثقافة وسماها تنقل بالفعل من مجتمع لآخر نتيجة للهجرة أو غيرها من ملامح الاتصال الثقافي (الخطيب، 1985: 22)، وهذا الأمر قد ساعده مباشرة في تحقيق نقلة نوعية للتراث الجزائري المهمش منهجياً، وفكرياً على مستوى الخطاب النقدي، أو على مستوى المرجعيات التي تكون فلسفته، وهذا ما أشار إليه "عبد الله الركيبي" قائلاً : "أنّه من واجبا أن نجتمع هذا التراث، ونبحث عنه.. في مصادره، ونجمع أشغالاته المتفرقة" (الركيبي، د.س: 08) بشكل مباشر وغير مباشر الأمر الذي سوف يسهم في الحفاظ عليه، وفتح الباب أمام مختلف التجارب، التي يستقي منها المفكر معرفته الإبداعية، والنقدية، وفتح لخلق ديناميّة معرفية تحمي هذا التراث من الاندثار والذوبان.

3/3 - المرجعية الثورية:

لقد كان تفكير "عبد الله الركيبي" تفكيراً نقدياً ثورياً مجدداً باحثاً عن التغيير للمنظومة الفكرية الجزائرية في ظلّ التغيرات التي كانت تصاحب تلك الفترة العصيبة على الجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي، لقد بدأت هذه المنظومة الفكرية النقدية تتبلور تدريجياً بعد الإطلاع المستمر على الفلسفات النقدية الغربية، وما تنتجه من رؤى، ومرجعيات فكرية مصاحبة لعملية التفكير السليم خاصة بعد ظهور الحداثة الغربية، وتجلياتها على النقد العربي وتبدو حركة الحداثة

الفكرية التي هزت أركان الأمة العربية عامة، والجزائرية بشكل خاص من الجانب الفني والجمالي، فكان لابدّ عليها من مساهمة حركة الإبداع من خلال توظيف أساليب وطرائق أكثر حداثة ومعاصرة منها إلى الأساليب البالية التي باتت من الماضي لتخلق في النهاية الأشياء بطريقة جديدة تتناسب مع وسائل العصر ولغته فتعكس صيرورة التجديد التاريخي والثقافي بمفاهيم أكثر معاصرة متى دعت إليها.

إنّ المرجعية الثورية للكاتب "عبد الله الركيبي" كان لها الدور الفعال في بلورة ذاته المبدعة نحو عوالم الفكر الثوري الحرّ من خلال العديد من كتاباته الإبداعية التي كانت تجسيداً مباشراً للواقع السياسي والثوري حينها، خاصة بعد انتشار الوعي السياسي بين طبقات الشعب خاصة الكادحة والمقموعة منها، وبرز دوره المناهض للاستعمار، وقد جسّدته العديد من كتاباته الثورية، والتي منها:

اسم المؤلف	عنوان الكتاب	الجنس الأدبي	دار النشر	الطبعة - السنة
عبد الله الركيبي	مصراع الطفافة	مسرحية	دار بوسلامة - تونس	ط1-1959م
	نفوس ثائرة	مجموعة قصص	البار المصرية - مصر	ط1-1966م

4/3- المرجعية الدينية:

أدت المرجعية الدينية دوراً بارزاً في نشر القيم العقديّة للمجتمع الجزائري كظاهرة تعبيرية تكشف عن مختلف البنى الفوقية للمجتمع الذي يبلغ درجة من الاستقلالية في بناء تاريخ يميزه عن غيره من الشعوب في سياق تاريخي وحركة تطويرية لن تكون خارج وعي المجتمع وأساليب نهضته في حدّ ذاته، وهذا ما أشار إليه "عبد الله الركيبي" عندما أكّد على أنّ "الدين - في الجزائر- قد لعب دوراً هاماً في الحياة السياسية في القرن الماضي وأوائل هذا القرن بوجه خاص، حيث كان يحرك الأحداث السياسية ويدفع الجماهير إلى أن تناضل ضدّ الأجنبي المحتل، وضدّ أطماعه وأهدافه الاستعمارية" (الركيبي، 1981: 05)، وهذا الأمر ساهم بشكل كبير في إعطاء صورة كبيرة عن هوية المجتمع، وتوجهاته الدينية، والتي مرة كانت صوفية بحتة لا تخرج عن إطار الروايات التي كانت منتشرة في كامل الجزائر، أو نظرة إصلاحية تجسّدت في فكر المدرسة التنويرية الباديسية، وما حققته من نقلة نوعية في بث الوعي العقدي والتجديد للجزائريين بعيداً عن التأويلات الضيقة، وهذا ما طرحه الكاتب "عبد الله الركيبي" في مؤلفاته، والتي نذكر منها:

اسم المؤلف	عنوان الكتاب	الجنس الأدبي	دار النشر	الطبعة - السنة
عبد الله الركيبي	قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر	قصة أدبي	البار العربية للكتاب- ليبيا	ط1 - 1977م
	الشعر الديني الجزائري الحديث		الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر	ط1- 1981م

والمتتبع لتجربة الكتابة النقدية والإبداعية عند "عبد الله الركيبي" يجد أنّ "التحولات الاجتماعية التي عاشتها الجزائري استطاعت أن تفرض قضاياها على الأدب، فربطت الأدب بالمتجمع، ومن خلال احتكاكه بالحياة اليومية تولد لديه دافع التمرد بمعناه الإيجابي، فعمل جاهداً على إثبات دوره، في هذا الواقع، وإذا كان الإبداع الأدبي يعبر عن رؤية ثورية وطموح نهضوي مشروع، فهذا يعني أنّ الأديب لا يرى فرقاً بين الواقع السياسي والواقع الاجتماعي، والواقع الاقتصادي طالما أنّ ذلك من مهمات الثورة الثقافية، وهذا الأمر خلق رؤية ثابتة في عالم النقد والأدب مما جعله يعيش عوالم فكرية لم يستطع التحليق في سماءها إلا من خلال تجربة "عبد الله الركيبي"، والتي تركت بصمتها على التراث الفكري الجزائري خاصة، والعربي عامة، وهي تجربة تأصيلية لهذا التراث الذي عانى من التهميش، وعدم الجمع والإحصاء وحتى الاعتراف بهويته ووجوده كمرجعية وطنية تستحق التقدير والثناء حتى يجد مكانته في التراث العربي.

*- خاتمة:

حسب رأينا تبقى مسألة البحث في التراث النقدي والإبداعي الجزائري تمثل إشكالاً كبيراً لدى العديد من الباحثين، والنقاد المشتغلين في حقل الدراسات النقدية، وعلى الجميع التعاون من أجل تقويض هذا التباين الفكري الذي بات يزعزع الاستقرار الفكري، ويخلخل الثقة مع الموروث اللغوي والفكري للأمة الجزائرية، ولكي نصل إلى عمق الضرر علينا إعادة قراءة الكتابات التأصيلية لكتابتنا، وفهم نوعية التجريب الذي تناوله هؤلاء المبدعون الجزائريون خاصة التجربة النقدية الفذة للكاتبة الجزائرية "عبد الله الركيبي"، وهي تجربة منهجية تهدف لتأصيل مختلف صنوف النقد الجزائري وتقديمه للمتلقي من أجل فتح باب الدراسة والتأصيل وإعادة القراءة لهذا الإرث الفكري.

وفما يلي بعض نتائج الدراسة:

- 1- غزارة الإنتاج الإبداعي والفكري والنقدي لدى الناقد "عبد الله الركيبي".
- 2- تنوع المواضيع الإبداعية والنقدية في تجربة الناقد "عبد الله الركيبي".
- 3- المرجعية العربية الإسلامية في الفكر النقدي الملتزم لدى "عبد الله الركيبي".
- 4- المزاوجة بين الأصالة والمعاصرة في نقد وعرض التراث النقدي العربي والجزائري عند "عبد الله الركيبي".
- 5- الحس الثوري للنقد الأدبي الجزائري في كتابات "عبد الله الركيبي".

وفي النهاية نقترح أن تكون هناك دراسات مستفيضة عن تراث (عبد الله الركيبي) - رحمه الله - وأن ينال حظه من الدراسة والنقد الأدبي فهو يعدّ الأب الروحي للنقد الأدبي الجزائري الملتزم لما قدمه هذا الرجل المجاهد من توضيحات في سبيل الثورة، والفنّ والجزائر.

قائمة المراجع:

- ابن منظور. (2011). لسان العرب. بيروت - لبنان: دار صادر.
- أحمد، بدوي. (1996). أسس النقد الأدبي عند العرب. ط1. القاهرة- مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
- أحمد، الخطيب. (1985). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر. ط1. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- أحمد، دوغان. (1996). في الأدب الجزائري الحديث. ط1. سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

- الشريف علي، الجرجاني. (د.ت). التعريفات، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، ط1. القاهرة - مصر: دار الفضيلة.
- الفيروز آبادي. (2005). القاموس المحيط، ط8. بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة.
- جبرائيل سليمان، جبور. (1983). كيف أفهم النقد، ط1. بيروت - لبنان: منشورات دار فا الحديدة.
- حسن، مخافي. (2003). التصيدة الرؤى - دراسة في التنظير الشعري، ط1. الرباط - المغرب: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- زكي، المحاسني. (1961). شعر الحرب في أدب العرب في العهدين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة (دراسة)، ط1. مصر: دار المعارف.
- سعيد، علوش. (1985). معجم المصطلحات الأدبية، ط1. بيروت - لبنان: دار الكتاب اللبناني.
- شوقي، الجمل. (1982). علم التاريخ نشأته وتطوره، ط1. مصر: مكتبة الأنجلو مصرية.
- عبد السلام، المسدي. (1984). قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، ط1. ليبيا: الدار العربية للكتاب.
- عمر، شادلي. (2005). الترجمة وقضايا المصطلح، إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الوافد أمودجًا. المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية. مع 8. دبي - الإمارات العربية المتحدة: المجلس الدولي للغة العربية.
- محمد صالح، الجابري. (2005). قاموس الأدب الجزائري المعاصر، ط1. لبنان: دار الجيل للطباعة والنشر.
- محمد، بن سميعة. (2003). في الأدب الجزائري الحديث، ط1. الجزائر: مطبعة الكاهنة.
- يعقوب إميل بديع، عاصي ميشال. (1978). المعجم المفصل في اللغة والأدب، مع 1. ط1، بيروت - لبنان: دار العلم للملايين.
- عباس، إحسان. (1983). تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر)، ط4. بيروت - لبنان: منشورات دار الثقافة.
- عبدالله، الركيبي. (د.س). دراسات في الشعر الجزائري الحديث، ط1. القاهرة - مصر: منشورات الدار القومية للطباعة والنشر.
- عبدالله، الركيبي. (1981). الشعر الديني الجزائري الحديث، ط1. الجزائر: منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.